

## مشروع تحديات الانتقال في سوريا

ورقة مناقشة (31)

الربط بين مساري جنيف وأستانا هو أفضل أمل لاستمرار وقف التصعيد في سوريا

منى يعقوبيان، معهد الولايات المتحدة للسلام

## مركز جنيف للسياسات الأمنية

مركز جنيف للسياسات الأمنية هو مؤسسة دولية تأسست في عام ١٩٩٥، بعدد أعضاء قدره ٥٣ دولة عضوًا، لغرض رئيسي هو تعزيز السلام والأمن والتعاون الدولي عن طريق تعليم المهارات التنفيذية وبحوث السياسات التطبيقية والحوار. يتولى مركز جنيف للسياسات الأمنية تدريب المسؤولين الحكوميين والدبلوماسيين والضباط العسكريين وموظفي الخدمة المدنية الدولية وموظفي المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص في المجالات ذات الصلة بالسلام والأمن الدوليين.

### مشروع تحديات الانتقال في سوريا

مشروع متعدد الأطراف للحوار والبحث يهدف إلى بناء الجسور بين الاتحاد الأوروبي وروسيا وتركيا والولايات المتحدة بشأن قضايا ثلاث، هي: الإصلاح، وعودة اللاجئين، وإعادة الإعمار. يدير المشروع مركز جنيف للسياسات الأمنية بالتعاون مع معهد الجامعة الأوروبية والمركز السوري لبحوث السياسات والمؤسسة السويسرية للسلام "سويس بيس".

### المحرر:

عبد الله إبراهيم، باحث رئيسي في المشروع

### المؤلفة

### منى يعقوبيان

منى يعقوبيان هي من كبار المستشارين في القضايا المتعلقة بسوريا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا في معهد الولايات المتحدة للسلام. عام 2019، شغلت منصب المدير التنفيذي لمجموعة دراسة سوريا التي تم تسهيل أعمالها عن طريق معهد الولايات المتحدة للسلام بتكليف من الكونغرس. والتحققت السيدة يعقوبيان بمعهد الولايات المتحدة للسلام بعد أن عملت نائبة لمساعد مدير مكتب الشرق الأوسط في الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بين عامي 2014 و2017، حيث تولت مسؤولية ملفات العراق وسوريا والأردن ولبنان. وقبل انضمامها إلى الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، كانت السيدة يعقوبيان من كبار المستشارين في مركز ستيمسون حيث تمحور عملها حول الانتفاضات العربية مع تركيز خاص على سوريا.

قبل انضمامها إلى مركز ستيمسون، عملت السيدة يعقوبيان مستشارة خاصة معنية بقضايا الشرق الأوسط في معهد الولايات المتحدة للسلام حيث تركز عملها على لبنان وسوريا، فضلاً عن مسائل أوسع تتعلق بالديمقراطية في العالم العربي. وفي الفترة بين عامي 1990 و1998، عملت السيدة يعقوبيان كمحللة لقضايا شمال إفريقيا في مكتب الاستخبارات والبحوث التابع لوزارة الخارجية، مع تركيز خاص على سوريا والعراق ولبنان. وتمحور بحث السيدة يعقوبيان حول تحليل الصراعات ومنع حدوثها في الشرق الأوسط، خاصة في سوريا والعراق ولبنان. وتمتد اهتماماتها إلى كيفية تعامل المجتمعات مع الأزمات. حصلت السيدة يعقوبيان على منحة فولبرايت في سوريا حيث درست اللغة العربية في جامعة دمشق عامي 1985 و1986. وحصلت على زمالة في الشؤون الدولية لدى مجلس العلاقات الخارجية، وهي حالياً عضو في المجلس. حازت السيدة يعقوبيان على شهادة الماجستير من كلية كينيدي للإدارة الحكومية بجامعة هارفارد وشهادة البكالوريوس من جامعة ديوك.

الأفكار المعبر عنها تخص المؤلف وحده ولا تخص الناشر ولا معهد الولايات المتحدة للسلام

نُشرت في نوفمبر ٢٠٢٠

جميع الحقوق محفوظة لمركز جنيف للسياسات الأمنية

مع اقتراب الذكرى السنوية العاشرة للصراع في سوريا، لا يُرَجَّح تحقيق تسوية تشمل جميع مناطق البلاد في الأجل القريب إلى المتوسط. ولم ينجم عن أكثر من ثماني سنوات من المبادرات الدبلوماسية سوى نتائج شحيحة. فالمساران الأساسيان، محادثات جنيف وأستانا/سوتشي، يتجاهلان تعقيد الصراع وجرأة نظام الأسد، ولا تكفي هاتان العمليتان بمفردهما لتوليد زخم نحو تحقيق تسوية سياسية دائمة في كافة الأراضي السورية. غير أن البناء الخلاق لجسر بين هاتين العمليتين قد يحقق مزيداً من الاستقرار في تلك المناطق التي لا تزال خارج سيطرة نظام الأسد، ما يخفف من معاناة بعض السوريين، وقد يكون بمثابة لبنة تُبنى عليها تسوية أطول أجلاً\*.

وإن لم يحدث تحوّل استراتيجي كبير في الدبلوماسية، فقد تُبطل التطورات على الأرض الجهودَ الدبلوماسية من المحادثات كليهما. بدلاً من ذلك، ينبغي تركيز جهود التفاوض على تطوير مقاربات مبتكرة للربط بين محادثات جنيف وأستانا. وسيركز مسعى الربط هذا على تعزيز عمليات وقف إطلاق النار في الشمال الغربي والشمال الشرقي من سوريا، وترسيخ بعض مظاهر الاستقرار في هذه المناطق عبر تعزيز إمكانية وصول المساعدات الإنسانية وقدرة هياكل الحكم المحلي.

### الهدوء الهش في سوريا: جمود وهمي أكثر منه حقيقي

وفقاً لبعض الروايات، قد يدخل الصراع السوري مرحلة "اللاسلم واللاحرب"، وهي مرحلة تتسم بخطوط مواجهة مُجمّدة في جميع أرجاء بلد مضطرب بطبيعته. وفي الإحاطة الإعلامية التي قدمها المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى مجلس الأمن في 27 تشرين الأول/أكتوبر أشار المبعوث إلى أن "خطوط المواجهة لم تتغير على مدار ثمانية أشهر. وأعداد الضحايا من المدنيين في الأشهر الأخيرة كانت عند أدنى مستوى لها منذ عام 2011، بحسب مجموعات المراقبة".

وفي الوقت نفسه، يتّسم الهدوء النسبي الذي تشهده سوريا بالهشاشة البالغة. ورغم تراجع أعمال العنف بشكل ملحوظ في الوقت الحالي، إلا أن التجربة تشير إلى إمكانية اندلاع الصراع من جديد في أي لحظة ما لم تُبذل جهود دبلوماسية لتعزيز وقف التصعيد على الأرض. فأحد الأمثلة على ذلك، تظهر بوادر خطيرة لكسر اتفاقية وقف إطلاق النار الذي توصلت إليه روسيا وتركيا لوقف هجوم روسي/سوري واسع على إدلب. إذ راح ضحية ضربة روسية جوية في 26 تشرين الأول/أكتوبر عشرات المقاتلين السوريين من مجموعة فيلق الشام المدعومة من تركيا إضافة إلى العديد من المدنيين، وهو الانتهاك الأخطر لاتفاقية وقف إطلاق النار حتى اللحظة. وقد يحفز هذا الهجوم الروسي الاستفزازي بالقرب من الحدود التركية تحركاً تركياً مضاداً. ومن بين الاحتمالات الأخطر أن تختار أنقرة تعميق توغلها شمال شرقي سوريا. وقد يؤدي التصعيد المتبادل هذا إلى انهيار سريع لوقف الأعمال العدائية الكبرى الذي ساد في المناطق الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من سوريا.

يشير هذا التهديد المتواصل بتجدد الأعمال العدائية إلى أن جمود الصراع ليس إلّا وهماً. وسوف يؤدي غياب العملية الدبلوماسية إلى بقاء سوريا في وضعها المزري. فالافتقار إلى حل نهائي يعني أن الصراع السوري سيستمر في تكبيد المدنيين داخل سوريا خسائر فادحة، وإطالة أمد أزمة اللاجئين السوريين في البلدان المجاورة والمجتمعات التي تستضيفهم، ومفاجمة التشرذم الاجتماعي والاقتصادي الذي يصيب البلدان المجاورة هذه في ظل جائحة فيروس كورونا.

\* هذه الورقة مترجمة عن إسهام للمؤلف منشور باللغة الإنجليزية على الموقع الإلكتروني لمركز جنيف للسياسات الأمنية.

## البحث عن "الوضع الراهن مع بعض التحسينات" في سوريا

ما العمل إذا؟ بما أن كلاً من محادثات جنيف وأستانا لم تتمكننا من تحويل الوضع الراهن في سوريا إلى استقرار أكثر ديمومة، فإن الربط بينهما يقدم أملاً أفضل لهدنة مستدامة حتى يتم التوصل إلى تسوية سياسية قابلة للاستدامة. ومع ذلك، من الواضح أن جهوداً كهذه لن تعالج العديد من التحديات الخطيرة الناجمة عن الصراع السوري، لا سيما تلك التي تتمحور حول استمرار سيطرة نظام الأسد على السلطة وبقاء نظام حكمه الوحشي في المناطق الخاضعة لسيطرته.

لكن البناء على مواضيع مشتركة تتناولها المحادثات بالتوازي قد يؤدي إلى سيناريو "الوضع الراهن مع تحسينات" على الأرض يتضمن وقفاً زمنياً، إن لم يكن فعلياً، للأعمال العدائية في كافة الأراضي السورية، وتعزيزاً للوصول المساعدات الإنسانية إلى شمال غربي وشمال شرقي سوريا، وتحسين ظروف المعيشة في هذه المناطق التي تتسم بالحكم اللامركزي والاستقرار وحتى إعادة الإعمار المبكرة. وفي أفضل الظروف، قد تسمح هذه الظروف بعودة بعض اللاجئين والنازحين السوريين إلى مجتمعاتهم الأصلية.

### تحديد أوجه التعاون على طول الشمال الغربي والشمال الشرقي السوري

قد تبدأ جهود الربط بين محادثات جنيف وأستانا بتحديد أوجه التشابه التي تميز الشمال الغربي والشمال الشرقي بصورة متزايدة. وتزايد خطوط التوازي بين هاتين المنطقتين ويبدو مصيرهما متشابكين على نحو متزايد.

- تشهد المنطقتان اتفاقيات هشة لوقف الأعمال العدائية، وترتبط هذه الاتفاقيات فيما بينها. ويمكن تدعيمها وتعزيزها بشكل متبادل، أو يمكن أن تندثر بصورة سريعة وتغرق في دوامة لا تنتهي.
- يلعب الرعاة الخارجيون دوراً كبيراً في كلتا المنطقتين، تركيا في الشمال الغربي والولايات المتحدة في الشمال الشرقي، مع تواجد نفوذ روسي في كلتا المنطقتين. ومع ذلك، لا تشترك الجهات الفاعلة الخارجية هذه، في معظم الأوقات، بشكل متزامن في العملية ذاتها للتوسط في تخفيف حدة التوترات داخل المنطقتين أو فيما بينهما. ولا تزال الغاية النهائية للجهات الخارجية الفاعلة هذه مشوشة في كلتا المنطقتين، وبالتالي قد تكون عرضة لإعادة التفسير والمساومة.
- تسيطر الجماعات المحظورة إلى حد كبير على كلتا المنطقتين (هيئة تحرير الشام في الشمال الغربي والعناصر الكردية السورية المرتبطة بحزب العمال الكردستاني في الشمال الشرقي) والتي يبدو أنها تسعى إلى تكوين انسجام وشرعية لها مع الجهات الخارجية الفاعلة والمجتمع الدولي بشكل عام. ومن المفارقات في كلتا الحالتين أنسجام القرارات التي تتخذها كل جماعة بتبني "هوية سورية" بشكل أكبر قد تسهل الحصول على اعتراف أوسع على الأرض ومن الخارج. كما أن الجماعتين مستبعدتان حالياً من محادثات السلام الجارية، رغم سيطرتهم الفعلية على مساحات شاسعة من الأراضي والتجمعات السكنية التي تشمل ما لا يقل عن ثلاثة ملايين نسمة.
- تتميز كلتا المنطقتين بحكم ذاتي لامركزي نسبياً، يمنح السكان المحليين درجة معينة من الحكم الذاتي، رغم العديد من المسائل والتحديات التي لم تُحل. ومع ذلك، يمكن لهذه النماذج من الحكم اللامركزي أن تمثل مخططاً لسوريا مستقبلية.

## وضع استراتيجية للربط بين محادثات جنيف وأستانا عبر الشمال الغربي والشمال الشرقي لسوريا

يوفر استغلال أوجه التعاون المنغرس في الديناميات المتداخلة هذه ومصيري شمال غربي وشمال شرقي سوريا المتشابكين أفضل مسار للمضي نحو الربط بين محادثات جنيف وأستانا. إذ تتمتع هاتان المنطقتان، بصورة أساسية، بإمكانات كبيرة للمشاركة المبتكرة بين العديد من أصحاب المصلحة لتطوير آليات مستدامة لوقف التصعيد. وفي حين يؤخر نظام الأسد الجهود المرتبطة بعمليات السلام في سوريا ويعرقلها (على سبيل المثال لا الحصر، الجهود المتعثرة بشأن اللجنة الدستورية)، فإن افتقاره إلى السيطرة الفعالة شمال غربي وشمال شرقي سورية يسمح بتخيل مسارات محتملة للمضي قدماً. ويمكن لجهود دبلوماسية للربط بين مباحثات جنيف وأستانا عبر هاتين المنطقتين أن يُسهّل التوصل إلى وقف للتصعيد أكثر استدامة ويوفّر تنمية على المستوى المحلي في هذه المناطق من سوريا، التي تحتوي على نحو ستة ملايين نسمة، في الفترة الطويلة ما قبل التوصل إلى تسوية سياسية دائمة.

ويمكن للأمم المتحدة أن تلعب دوراً مهماً في كشف أوجه التعاون الممكنة في هذه المناطق، وتشق طريقاً في غياب تسوية سياسية واضحة لسوريا بأسرها. وتسهم في تطوير فهم أوضح لهذه التوازنات والتفاعل النشط بينها، وقد يكون إطلاق مقاربة بناءة ومستقرة لحالة "اللاسلم واللاحرب في سوريا" ممكناً.

وللوصول إلى المرحلة النهائية المنشودة على المدى المتوسط وهي "الوضع الراهن مع تحسينات"، ينبغي على جميع الأطراف تقديم تنازلات بالقدر المتاح، وإن لم تكن مثالية لأي طرف. وعبر التوصلات الدبلوماسية المكثفة، يمكن للمبعوث الخاص للأمم المتحدة أن يبدأ بفهم أوضح للمراحل النهائية ونقاط التنازل المحتملة والمقايضات وأوجه التعاون التي تعود بالفائدة على الجانبين ولم يتم إدراكها، بين أصحاب المصلحة الرئيسيين شمال غربي وشمال شرقي البلاد. وسيشمل ذلك استكشاف السبل المؤدية إلى الاعتدال من جانب الجماعات المحظورة المسيطرة على الأرض وتعديل المراحل النهائية لأصحاب المصلحة الخارجيين. ورغم تعذر تحقيق تسوية سياسية على مستوى البلاد، غير أن التوصل إلى حل "القاسم المشترك الأكبر" في هذه المناطق سوف يؤدي إلى نتيجة مستقرة على الأمد المتوسط في سوريا.

### التحديات التي تواجه استراتيجية الربط بين الشمال الغربي والشمال الشرقي

ليست استراتيجية الربط بين الشمال الغربي والشمال الشرقي مثالية بأي حال من الأحوال، بل إنها تنطوي على تحديات وسلبيات واضحة، وينبغي التخفيف من حدتها قدر الإمكان. فأولاً، تجازف الاستراتيجية بتسيخ تقسيم فعلي للبلاد إلى ثلاث مناطق منفصلة: المناطق السورية التي يسيطر عليها النظام ومناطق الشمال الغربي ومناطق الشمال الشرقي. وثانياً، وكما يتم تنفيذ استراتيجية الربط بين الشمال الغربي والشمال الشرقي، قد تتطلب تواجداً ضئيلاً طويل الأمد للقوات الأجنبية الموجودة حالياً على الأرض في هذه المناطق. ولا تعالج الاستراتيجية الممارسات الوحشية لنظام الأسد في المناطق الواقعة تحت سيطرته، بما في ذلك الاحتجاز التعسفي والإخفاء القسري والتعذيب. ولا تعالج المخاوف المتزايدة بشأن حقوق الإنسان في مناطق عفرين ورأس العين وتل أبيض التي تسيطر عليها القوات المدعومة من تركيا.

وأخيراً، يمكن إبطال هذه الاستراتيجية بسبب التداعيات المعقدة الناجمة عن صراعات إقليمية أخرى. إذ يزداد انغماس منطقة الصراع السوري في سلسلة واسعة من الصراعات المترابطة التي تمتد من ليبيا حتى ناغورني كرباخ. ولأن هذه الصراعات المتداخلة تعكس اضطرابات إقليمية وعالمية أوسع، يتردد صداها على طول المناطق الجغرافية، ما يقدم عناصر مجهولة النتائج إلى الصراع السوري المعقد أصلاً. على سبيل المثال، تردد أصداء التنافس الروسي - التركي في ليبيا وناغورني كرباخ في الساحة السورية مع آثار مزعزة للإستقرار.

ولا تُظهر مفاوضات السلام المتمحورة حول دمشق إلا القليل من علامات التقدم، إن وُجدت. فحتى يومنا هذا، أظهر نظام الأسد نفسه منيعاً إلى حد كبير ضد الضغوطات، وبطيئاً في تنفيذ حتى الإصلاحات الشكلية، في حين ضاعف من تكتيكاته الوحشية حيثما استطاع. وبما أن السلام الدائم في كافة الأراضي السورية لا يزال بعيد المنال، فقد يكون الربط بين محادثات جنيف وأستانا عبر استراتيجية الوصل بين الشمال الغربي والشمال الشرقي بمثابة مقاربة مبتكرة نحو وقف للتصعيد يخفف من معاناة عموم السوريين ويرسي الأساس لتسوية مستقبلية. وإلا فليس من المرجح أن يدوم الهدوء السوري الهش.